وكذا أبو الفدا فقد ألفيته فيما كتبه شريفا مترفعا عن الهوى وليس هذا بالكثير على ذلك الملك المؤرخ. اما دحلان فيريد ان يقول لنا ان لمجيء التتر اسبابا كثيرة، من اعظمها رسالة الوزير لهلاكو ولكن ما يؤسف له انه لا يذكر سببا واحدا من هذه الأسباب الكثيرة. أما أنا فلا أعتقد أن وصية الوزير ان ثبتت هي التي جاءت بالتتر وحدها، وانما قد تكون عاملا قويا في تسهيل الاغارة على بغداد، وآسف أني لا أعرف الكافي عن تاريخ التتر ليتسنى لي تعداد بعض الاسباب التي حفزتهم لشن غارتهم الشعواء، واخيرا وبناء على ضعف حجة وكيل الدفاع ابن الطقطقي وتكاتف بقية المصادر على ادانة الوزير — أراني مضطراً اضطراراً عليا سليما من الغاية، وبعيداً عن الهوى، ومبنياً على ما أوصلني اليه استقصائي أن أرجح غدر الوزير بدولته وخليفته متبعا في ذلك ابن خلدون بأن ذلك وقع على يد ابن الصلايا الذي يظهر أنه اتصل بالتتر فحسن لهم مهاجمة بغداد بشتى الطرق، وذلك بعد أن ضاق الوزير ذرعا بالدوادار وولي العهد واشياعهما السنيين وبعد أن قامت الشيعة نكبات وويلات وفضائح في العرض وخسائر في المال أخرجت الوزير عن تعقله، وجعلته يتناسى كل شيء في سبيل الانتقام أولا وانقاذ الشيعيين ثانيا، فلم يجد امامه أوفق من الاستعانة بالمغول الذين لم تكن بغداد غريبة عن الاستعانة بهم، فقد سبق للخليفة العباسي أن استعان بجنكيز خان على شاه خوارزم، وقد أصاب بغداد من جراء استغاثة الوزير بهلاكو ما أصاب المشرق وبخارى يوم استعان الخليفة بجنكيز على الشاه.

فرحان شبيلات
الجامعة الامريكية (بيروت)

قراءة الأفكار وعلوم نفسية
تحضير الرغبات، السحر، العلاج النفسي، المثل الأثير، بناء الشخصية والاعلان الى ثمنه ٥ قروش
ملكات العقل الباطن
النبوغ، التنويم المغنطيسي، الايحاء، التحليل التركيبي الاختبار، الخلود، اليقظة السريعة الى ثمنه ٥ قروش
يطلب الكتابان من مؤلفهما الأستاذ وليم رجيوس المحامي بشارع البرعة البولاقية رقم ١٥٦ بالمنيرة بمصر

٣ — ابن قلاقس

(٥٣٢ — ٥٦٧ هـ (١١٣٨ — ١١٧٢ م)

— ٦ —

لابن قلاقس ديوان شعر يحدثك جامعه أول ما يحدثك أن هذا الشعر ليس كل شعر ابن قلاقس، لأنه حذف منه ما لا يليق بهذا الشاعر من غث القول وسخيفه، وهي فكرة خاطئة تضر بتاريخ، ولا تفيده؛ إذ من الخير لنا أن نرى جميع مظاهر التفكير للشاعر، سواء أكانت جيدة أم غير جيدة، غير أننا اليوم وقد ذهب ذلك الشعر الضعيف، ليس لنا إلا أن نتحدث عن هذا الشعر الذي بين أيدينا، وأهم ما يميزه خصائص ثلاث: أولها الغرابة في كثير من الأحيان، تلك الغرابة التي تستدعي منك مزيد العناية والاهتمام، فأنت إذ تقرأ شعره لا تقرأه مارا عليه أو مسرعاً في تلاوته، ولكنك تقرأ محترساً منتبها، موجهاً كل همك إلى تفهم ما يريده، وفهم ما يقصده؛ ولست أدعي أن ذلك محمدة في الشعر، أو فضيلة بها يمتاز، ولكنني أزعم أن الذي أوقع شاعرنا فيها هو غرامه الذي لا حد له بالمحسنات اللفظية والجمال البديعي، مما يدعوك إلى أن تقرأ القصيدة مرة ومرة حتى تفهمها، وتدرك سر معناها، على أنه لم يكن في كل شعره كذلك، بل هو في كثير من الأحيان يترقرق عذوبة، ويسيل لينا ولطفا، واستمع اليه يقول:

كان الشباب الغض ليـ ـلا فاستنار الشيب فجرا
ولئن تقلب بي الزما ن كما اشتهى: بطنا وظهرا
فيما قتلت صروفه وقتله جلداً وخبرا
غاض الوفاء، وفاض ما الغدر أنهاراً وغدرا
فانظر بعينك هل ترى عرفا، ولست تراه نكرا
خلق جرى من آدم في نسله: وهلم جرا
ومروعي بالبحر يحـ ـسب أنني أرتاع بحسرا
أو مادري أني بتسـ ـهيل المصاعب منه أدرى ؟!

ثاني الخصائص التضمين والاقتباس، وهما إن دلا فانما يدلان على ثقافة واسعة، واطلاع على الشعر عظيم، وشاعرنا قد أخذ كثيراً من معاني السابقين وصاغها في شعره، فاذا أنت سمعت قوله:

والماء يكسب ماجرى طيبا ويخبث ما استقرا

عاد إلى ذهنك قول البديع : وهو الماء إذا طال مكثه ،ظهر خبثه ؛ وإذا سمعت قوله :

وبثقلة الدرر النفيـ ـسة بدلت بالبحر نحرا

خطر ببالك قول صرد :

قلقل ركابك فى الفلا ودع الغوانى للخدور
فحالفو أوطانهم أمثال سكان القبور
لولا التنقل ما ارتقت درر البحور إلى النحور

بل هو يتعدى ذلك أحيانا إلى المعارضة ،وقد استطعنا أن نعرف أنه قد أخذ من ابن الرومى وابن المعتز والمتنبى وغيرهم ، وكان أكثر من عارضتهم البحترى فهو قد عارضه فى قصيدته السينية بتلك القصيدة التى يهنىء فيها بمولود ويقول :

كوكب لاح بين بدر وشمس فترى بالسرور فى كل نفس

وتشبيه به جعله يقع أحيانا فى سوء التخلص الذى كان البحترى يقع فيه كثيرا كما شابهه أيضا فى الفخر بشعره والمغالاة فى التحدث عن قوته وجماله ، ولسنا ننسى بعد أقوال البحترى مفاخرا بشعره بعد إلقاء قصيدته ،وهاهو ذا ابن قلاقس يقول عن شعره :

أين أمثال ما أقول ؟ وقولى بات يقتاد شارد الأمثال

وهو قد عارض كذلك بعض قصائد جاهلية وأموية واقتبس منها . مثل قصيدة : قربا مربط النعامة منى ، وقصيدة : حنت إلى ربا ،وغيرهما .

ثالثة الخصائص ولوع بالمحسنات اللفظية والجمال البديعى ، وبخاصة الجناس والتورية ، شأنه فى ذلك شأن الشعراء المصريين واستمع إليه يقول :

أمنا فى فتائكم الليالى فلا طرق الفناء لكم فناء

ويقول :

وكيف لا يحب القلب الذى فعلت يد الصبابة فيه فوق ما يجب

وكثيرا ما تسمعه يقول : حجابا وحجابا ،أو إجلالا وإجلابا ،أو إرغادا وإرغابا ؛ كما كان له كذلك ولع خاص بالاستعارة المكنية التى يثبت فيها للمشبه خاصة ولازما للمشبه به فكثيرا ما تسمع منه ثغر المزن ،ووجنات الورد ،وجبين الخطب ،ومعاطف الطرب ،وغير ذلك .

شعر شاعرنا جار على القوانين النحوية والصرفية لا يشذ عنها ، ولا يخرج عليها ، اللهم إلا إذا استثنينا قطعه همزة الوصل أحيانا وأخذه بمذهب : وحملت زفرات تضحى ،ذلك المذهب الذى يكثر عند جمع المؤنث السالم حينما تكون له مفتوحة وهو لا يلجأ إلى ذلك إلا مضطرا مكرها ،كما أنه لم يلجأ — وعلى الأقل فى هذا الشعر الذى بين أيدينا — إلى أساليب العامة إلا فى النادر الأقل كقوله :

يكى به الاقلام فلا تحرف ثمرت معانيه عليه من الضحك

ويحسن بنا أن نقول : إن شعر ابن قلاقس كان ينظر الى الشعر نظرته إلى شىء يثير العاطفة ؛ والشعر ليس كلاما مزخرفا فحسب ، ولكنه قول يثير فى النفس عاطفة تدعو إما الى الزهد فى الدنيا أو الاقبال على لذتها وحسنها وجمالها .

— ٢ —

أهم ما طرقه ابن قلاقس من الاغراض المدح ، والغزل والوصف ، والعتاب والرثاء والهجاء ، وهو كلها من أنواع الشعر الغنائى الذى لا قصص فيه ولا تمثيل ؛ ومدح شاعرنا أكثر هذه الأنواع وأوفرها قد أخذ بحظ من الجمال وحظ من الرقة ، تقل فيه المغالاة والاغراق ، وشاعرنا ينظر الى شعر المدح نظرته الى العقد الذى يربط محاسن الممدوح ؛ وينظمها فى قرن واحد ؛ ولولا الشعر لظلت هذه المحاسن متفرقة غير مجتمعة ، فهو يقول :

وما الشعر الا سلك منتثر العلا ينظم فيه درها المتبدد

ويقول :

إذا ما المجد لم يضبط بشعر فقد أضحى بمدرجة الضياع

غير أننا نتساءل : أكان شعرنا يتكسب بشعره ؟ وإذا كان فهذا كان نصيبه من ممدوحيه ؟ أما أنه كان يتكسب بشعره فاننا نراه يقول

تأبى لى الهمة أن أجعل شعرى مكسبى

غير أننا بالرغم من ذلك البيت نكاد نوقن بأن شعره كان وسيلة من وسائل كسبه ، يدلنا عليه أولا تلك الرحلات التى رحلها فى الشرق والغرب ، ولا بضاعة معه الا شعره ، وثانيا تلك القصائد التى فيها يقاضى ممدوحيه بالعطايا والهبات ويبدى لهم فيها فقره وحاجته ، بل إن بعض قصائده تدل على أن بعض ممدوحيه قد جعل له راتبا يتقاضاه .

(لها بقية)

احمد احمد بدوى